

تفسير السعدي

@ 537 @ منها وأطعموا البائس الفقير * ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا
بالبیت العتيق) ^ يذكر تعالى عظمة البيت الحرام وجلالته وعظمة بانيه وهو خليل الرحمن
فقال : ^ (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) ^ أي : هيأناه له ، وأنزلناه إياه ، وجعل
قسما من ذريته من سكانه ، وأمره ا ببنائه ، فبناه على تقوى ا ، وأسس على طاعة ا ،
وبناه هو وابنه إسماعيل ، وأمره أن لا يشرك به شيئا ، بأن يخلص أعماله ، ويبنيه على
اسم ا . ^ (وطهر بيتي) ^ أي : من الشرك والمعاصي ، ومن الأنجاس والأدناس وإضافة
الرحمن إلى نفسه ، لشرفه ، وفضله ، ولتعظم محبته في القلوب ، وتنصب إليه الأفئدة من كل
جانب ، وليكون أعظم لتطهيره وتعظيمه ، لكونه بيت الرب للطائفين به والعاكفين عنده ،
المقيمين لعبادة من العبادات من ذكر ، وقراءة وتعلم علم وتعليمه ، وغير ذلك من أنواع
القرب . ^ (والركع السجود) ^ أي : المصلين ، أي : طهره لهؤلاء الفضلاء ، الذين همهم ،
طاعة مولاهم ، وخدمته والتقرب إليه عند بيته ، فهؤلاء ، لهم الحق ولهم الإكرام ، ومن
إكرامهم تطهير البيت لأجلهم ، ويدخل في تطهيره ، تطهيره من الأصوات اللاغية والمرتفعة
التي تشوش المتعبدين ، بالصلاة والطواف ، وقدم الطواف على الاعتكاف والصلاة ، لاختصاصه
بهذا البيت ثم الاعتكاف ، لاختصاصه بجنس المساجد . ^ (وأذن في الناس بالحج) ^ أي :
أعلمهم به ، وادعهم إليه ، وبلغ دانيهم وقاصيهم ، فرضه وفضيلته ، فإنك إذا دعوتهم ،
أتوك حجاجا : وعمارا ، رجالا ، أي : مشاة على أرجلهم من الشوق . ^ (وعلى كل ضامر) ^
أي : ناقة ضامر ، تقطع المهامه والمفاوز . وتواصل السير ، حتى تأتي إلى أشرف الأماكن .
^ (من كل فج عميق) ^ أي : من كل بلد بعيد ، وقد فعل الخليل عليه السلام ، ثم من بعده
ابنه محمد صلى الله عليه وسلم ، فدعيا إلى حج هذا البيت ، وأبديا في ذلك وأعادا ، وقد
حصل ما وعد الله به ، أتاه الناس ، رجالا وركبانا من مشارق الأرض ، ومغاربها ، ثم ذكر
فوائد زيارة بيت الله الحرام ، مرغبا فيه فقال : ^ (ليشهدوا منافع لهم) ^ أي : لينالوا
ببيت الله ، منافع دينية ، من العبادات الفاضلة ، والعبادات التي لا تكون إلا فيه ، ومنافع
دنيوية ، من التكسب ، وحصول الأرباح الدنيوية ، ولك هذا أمر مشاهد كل يعرفه . ^
ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) ^ وهذا من المنافع
الدينية والدنيوية أي : ليذكروا اسم الله ، عند ذبح الهدايا ، شكرا على ما رزقهم منها
، ويسرها لهم ، فإذا ذبحتموها ^ (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) ^ ، أي : شديد
الفقر . ^ (ثم ليقضوا تفثهم) ^ أي : يقضوا نسكهم ، ويزيلوا الوسخ والأذى ، الذي لحقهم

في حال الإحرام . ^ (وليوفوا نذورهم) ^ التي أوجبوها على أنفسهم ، من الحج ، والعمرة والهدايا . ^ (وليطوفوا بالبيت العتيق) ^ أي : القديم ، أفضل المساجد على الإطلاق . والمعنى : من تسلط الجبايرة عليه . وهذا أمر بالطواف ، خصوصا بعد الأمر بالمناسك له عموما ، لفضله ، وشرفه ، ولكونه المقصود ، وما قبله وسائل إليه . ولعله وإِ أَعْلَم أيضا لفائدة أخرى ، وهو : أن الطواف مشروع كل وقت ، وسواء كان تابعا لنسك ، أم مستقلا بنفسه . ^ (ذلك ومن يعظم حرمات إِ فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور * حنفاء إِ غير مشركين به ومن يشرك بإِ فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) ^ (ذلك) ^ أي : ما ذكرنا لكم من تلکم الأحكام ، وما فيها من تعظيم حرمات إِ وإِجلالها ، وتكريمها ، لأن تعظيم حرمات إِ ، من الأمور المحبوبة إِ ، المقربة إليه ، التي من عظمها وأجلها ، أثابه إِ ثوابا جزيلا ، وكانت خيرا له ، في دينه ، ودنياه وأخراه ، عند ربه . وحرمات إِ : كل ماله حرمة ، وأمر باحترامه ، من عبادة أو غيرها ، كالمناسك كلها ، وكالحرم والإحرام ، والهدايا ، والعبادات التي أمر إِ العباد بالقيام بها . فتعظيمها يكون إجلالا بالقلب ، ومحبتها ، تكميل العبودية فيها ، غير متهاون ، ولا متكاسل ، ولا متناقل ، ثم ذكر منته وإِحسانه ، بما أحله لعباده ، من بهيمة الأنعام ، من إبل وبقر ، وغنم ، وشرعها من جملة المناسك ، التي يتقرب بها إليه ، فعظمت منته فيها من الوجهين . ^ (إلا ما يتلى عليكم) ^ في القرآن تحريمه من قوله : ^ (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) ^ الآية . ولكن الذي من رحمته بعباده ، أن حرمه عليهم ، ومنعهم منه ، تزكية لهم ، وتطهيرا من الشرك به ، وقول الزور ، ولهذا قال : ^ (فاجتنبوا الرجس) ^ أي : الخبث القذر ^ (من الأوثان) ^ أي : الأنداد ، التي جعلتموها آلهة مع إِ ، فإنها أكبر أنواع الرجس . والظاهر أن ^ (من) ^ هنا ليست لبيان الجنس ، كما قاله كثير من المفسرين ، وإنما هي للتبعيض ، وأن الرجس عام في جميع المنهيات المحرمات ، فيكون